

المملكة العربية السعودية

كلية المعلمين بالرياض

المدرسة التأثيرية



إعداد الطالب

حمد هادي الدوسري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

إن الفن بمختلف اتجاهاته ونظرياته له مدارس وقواعد اعتمدها كبار الفنانين وأصبحت لهم مذاهب وآراء ونظريات وطريقة يسلك خلفهم صغار الفنانين ويعرفهم منها النقاد وأهل الخبرة في التذوق الجمالي، وقد مرت كل مرحلة فنية بمرحلة تاريخية تأثرت فيها وبها، ونشأ لها أتباع ورواد، لذلك ظهر مصطلح المدارس الفنية ونعني فيها غالباً المدارس التي تلت عصر النهضة الأوروبية والتي تعرف حتى الآن، في القرن الحادي والعشرين، في هذا البحث سوف أتناول بالشرح والتوضيح واحدة من مدارس الفن في العصر الحديث وهي: المدرسة التأثرية .

وذلك من خلال مطالعتي لبعض المراجع والمصادر الفنية التي تحدثت ووضحت تلك المدارس وعرفتنا بأهم فنانيها وتوجهاتها، أسأل الله تعالى أن أقدم المفيد والهام في

بحثي هذا .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم

المبحث الأول: تاريخها

ظهرت التأثيرية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وغطت على الساحة الفنية، وأحدثت ضجة في عالم الفنون التشكيلية، لم يسبق أن بلغت حركة أو مدرسة فنية. ولم تظهر التأثيرية فجأة فممنذ زمن ديلاكروا ظهر هناك شعور عام بين كثير من (شباب الفنانين الفرنسيين يهدف إلى التجديد في مواضيع التصوير **Subject Matter**، وفي طريقة العمل **Technique**، فقد ركزوا على تصوير الحياة الحديثة، والناس العاديين، بطريقة فيها كثير من الحرية، مع محاولة رسم ما يرونه حقيقة، لا رسم ما تأمرهم به عقولهم ولا رسم ما اتفق عليه من سبقهم من فنانين)⁽¹⁾. وتعد المدرسة التأثيرية في الفن البداية الحقيقية للفنون الحديثة، فقد حررت الرؤية الفنية للطبيعة التي كانت خاضعة للمنهج الأكاديمي، فمثلاً كان الفن الواقعي يحاول تسجيل الواقع من خلال ظاهرة طبيعية "كالضوء" تسجيلاً أميناً، فإن التأثيرية سجلت الضوء، ولكن في اللحظة الآنية للفنان، الذي حاول الترجمة الفورية والتلقائية لظاهرة الضوء. كما أن التأثيرية انعكاس للأساس العلمي لطبيعة الضوء الذي اكتشفه العالم استحق نيوتن فهذا الفن "سوراه" يرسم الطبيعة بالطريقة التنقيطية للألوان الأساسية دون خلطها على اللوحة، تطبيقاً للموجات اللون الضوئية في العلم.

⁽¹⁾ (BERNARD Denvir. The Impressionist AT First Hand, London: Thames AND Hudson . 1987 P.9.

المبحث الثاني: قصة التسمية وأسباب قيامها

كلمة الانطباعية أو التأثيرية IMPRESSIONISM كانت معروفة في الوسط الفني، وقد استخدمها بعض النقاد ليعفوا بها (لمسات الفرشاة غير المتصلة، أو ليعفوا بها التناول التحليلي للضوء في كثير من أعمال القدامى. فقد استخدمت لوصف بعض الصور الحائطية (Murals) الرومانية وصور هالز Halz وفيلاسكوز Velasques، وتيرنر Turner، وكونستابل Constable.

غير أن هذه الكلمة لم تستخدم لترمز لهذه المدرسة الفنية المعنية إلا بعد أن استخدمها الناقد الفني لويس ليروي Lois Leroy عام ١٨٧٤م. وعندما استخدمها لويس كان استخدامه من باب السخرية من هؤلاء الفنانين، فقد كتب مقالة لاذعة النقد، لأعمال كل الفنانين، وركز هجومه على اللوحة رقم ٩٨ في المعرض وكانت هي لوحة مونيه Monet (تأثير شروق الشمس) "Impression, Sun Rise" وعلى الرغم من أن هذا الاسم بسخرية من أعمال هؤلاء الفنانين غير أنهم تقبلوه بعد زمن، بل أصبح علماً لأشهر مدرسة فنية حديثة.⁽¹⁾

ولم يكن النقد اللاذع ذاك بمستغرب، فقد كانت هناك حركة رفض شديدة للتقاليد الأكاديمية في مجال التشكيل، و ثورة عارمة تدعو للخروج على ما تعارف عليه الفنانون من قوانين وقواعد لا تمت (في نظر التأثير) إلى الأمانة الفنية، والصدق الفني بصلة.

(1) التربية الفنية مداخلها وتاريخها وفلسفتها (تأليف د. محمد عبد المجيد فضل)، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

المبحث الثالث: مظاهر التجديد في التأثيرية

تأثير التأثيريون بالحياة الجديدة في مظهرها، وفي اكتشافاتها العلمية في سائر المجالات. ولعل أهم ما تأثروا به من أشياء هو نظرية الضوء، والألوان. فقد أدت دراستهم إلى رؤية أثر الألوان المتجاورة على بعضها. ولم يلحظ الفنانون السابقون للتأثيريين مثل هذه التأثيرات. ولعل أهم مظاهر التجديد عند التأثيريين هو ترك آثار الفرشاة أو لمساتها **Brush Strokes** واضحة على اللون وعدم مسح الألوان ودمجها، وكانت هذه الطريقة هي التي جعلت أعمالهم تتصف بالخفة والحيوية.

ومما تميز به التأثيريون أيضاً الاهتمام بالظلال، فالمنطقة المظلمة كانت عنداً أغلب من سبقهم من فنانيين تملأ بلون داكن فقط، أما التأثيريون فقد اهتموا بالظلال وأوضحوا انعكاسات الألوان التي تتم فيها. كما أهملوا الخطوط الخارجية للأشكال.

ومن ناحية المضمون فقد خرج فنانون هذه المدرسة إلى الطبيعة لنقلها، وبهرتهم الأضواء فلم يكتفوا بالرسم التحضيري **Sketches** خارج المرسم، ثم الإكمال بمساعدة الخيال داخل المرسم - كما فعل السابقون - بل خرجوا بكل معداتهم (**Paraphernalia**) إلى الهواء الطلق. وإضافة إلى هذا، فقد أعجبوا بالحياة اليومية العادية لعامة الناس، فصوروا عامة الناس في الأسواق، والمنتزهات، والمقاهي، وصوروا أهل عصرهم أصدق وأدق تصوير، وبطريقة تتسم بالمرونة، والحيوية وعدم الاكتراث بالتفاصيل الدقيقة لكل ما يرسمون.

المبحث الثالث: أهم أعلام التأثيرية ومؤسسيها

ظهرت ملامح مشتركة لأعمال مجموعة من الفنانين لم يكن يجمعهم شئ محدد سوى رفض الطريقة التقليدية في التعبير التشكيلي. واختلف الفنانون في طرق دراستهم، فمنهم من تتلمذ على فنانين آخرين ومنهم من درس بنفسه ، ومنهم من أرتاد أكاديميات الفنون المختلفة ورفضها⁽¹⁾، وقد اقترح الفنان مونييه **Monet** أن يقيم الفنانون معرضاً مشتركاً، وشجع هذه الفكرة ودعا لها زميله بيسارو **Pissaro** وبعد جهد كبير أقيم المعرض في صالة عرض متواضعة كانت في الأصل استديو تصوير صوتي للمصور المشهور نادار **Nadar** .

كان افتتاح المعرض في اليوم الخامس عشر من شهر أبريل عام ١٨٧٤م، واشترك فيه تسعة وعشرون فناناً وفنانة اشتهر منهم سيزان **Cezanne** ، وديجا **Degas** ، ورنوار **Renior** ، وقيلومين **Guillaumin**، ومونييه **Monet**، وبيسارو **Pissaro**، وسيسلي **Sisley**، والفنانتان بيرث موريس **Berthe Morisot**، وماري كازا **Mary Kassatt**.

وقد أقيمت معارض التأثيرية ثماني مرات وكان المعرض الأول عام ١٨٧٤م، كما ذكرنا، والثاني عام ١٨٧٦م، والثالث عام ١٨٧٧م، والرابع عام ١٨٧٩، والخامس عام ١٨٨٠م، والسادس عام ١٨٨١م، والسابع عام ١٨٨٢/ن، الثامن والأخير عام ١٨٨٦م.

⁽¹⁾درس كل من سيسلي **Sisley** ، وبازل **Bassille** ، ورنوار **Renior** الفنون في مراسم قليريز وتركوه، لإصراره على أن يغير المدارس بعض ملامح من يرسم ليخلق لوحة جميلة.

وبعد عام ١٨٨٦م تفرق الفنانون وتغيرت اتجاهات بعضهم، غير أن كلا من مونيه وبيسارو وسيسلي استروا في التمسك بالطريقة التأثيرية حتى بدايات هذا القرن.

ومن أشهر فناني التأثيرية:

١. بول سيزان **Paul Cezanne** (١٨٣٩-١٩٠٦م) : يُكنى بول

سيزان بأبي الفن الحديث، وسيزان هو بلا شك أهم فنان ظهر منذ العقد الأخير من القرن الماضي وحتى اليوم. بدأ حياته بدراسة الحقوق ثم تركها منذ عام ١٨٦٢م وتخصص في الفن ومنذ الستينيات تعرف على بيسارو ورسم معه المناظر الطبيعية. وفي عام ١٨٧٤م اشترك في المعرض الأول للتأثيريين. وفي المعرض الثالث عام ١٨٧٧م وعرض ١٤ لوحة ممتازة. أهتم سيزان بدراسة نظريات التأثيريين في الألوان وطورها، وأوجد لنفسه طريقة خاصة مميزة. وأهتم كذلك بالأحجام والكيل عند رسم الأشياء، وكان يدعو دائماً إلى الاهتمام بلب الشكل المرسوم وأصوله وبهذا كان أول من خطط للتكعيبية، ومهد الطريق لها، فقد كان يقول إن على المصور أن يبحث عن الشكل المخروط **Cone** ، الشكل الكروي **Sphere**، والشكل الأسطواني **Cylinder**. ورسم عدداً كبيراً جداً من اللوحات وهي موجودة إلى اليوم وأغلبها في أشهر متاحف العالم.

٢. بول جوجان **Paul Gauguin** (١٨٤٨-١٩٠٣م) : عاش بول

جوجان بالتجارب، وتنقل من بلد لآخر ومن عمل لآخر. وأخيراً ترك عمله التجاري وتخصص في الفن. أسهم في إنشاء المدرسة التأثيرية واشترك في أغلب المعارض الجماعية. وفي عام ١٨٩١م

ذهب إلى جزيرة تاهيتي ومكث فيها لمدة عامين رجع بعدها لباريس ثم عاد مرة أخرى عام ١٨٩٥م. وفي تاهيتي تفتحت مواهبه ورسم أغلب أعماله المهمة التي اشتهرت فيما بعد. وقد عشق تاهيتي وأهلها، بل كل الشعوب التي تشبههم وبدأ في محاربة أهله الفرنسيين ممن دأبوا على استعمار الشعوب الأخرى. وكلفته هذه المعارك السياسية كثيراً من وقته وصحته، وماله فعاش أواخر حياته معدماً. بدأ جوجان مع التأثيريين واشترك في أغلب معارضهم، ولكنه منذ عام ١٨٨٨م ترك كل ما له صلة بتقليد الطبيعة. وفي هذه الفترة بدأ في دراسة الفنون العالمية، وعشق منها فنون الشرق الأدنى والأقصى، وعشق النحت الأفريقي. وانسلخ عن التأثيريين ودعا إلى الرمزية والتركيبية. واتسمت أعماله بالألوان الغنية، والخطوط القوية التي تحيط الشكل من الخارج، والوحدات الزخرفية التي تملأ الأشكال. خلف جوجان أعمالاً عظيمة في قيمتها وفي أعدادها وتوجد الآن في عدد كبير من متاحف العالم.

٣. فينسننت فان جوخ **Vicent Van Gogh** (١٨٥٣-١٨٩٠م): بدأ

حياته الفنية عام ١٨٨٠م وتتنقل أيضاً في عهد من الوظائف في انجلترا وهولندا (بلدته) وبلجيكا قبل أن يتفرغ للفن. في عام ١٨٨٦م وذهب إلى باريس حيث قابل مجموعة كبيرة من الفنانين التأثيريين، واشترك معهم في معارضهم. وكان قوي العاطفة، شديد الانفعال، وقد انعكس ذلك في أعماله التي تتسم بلمسات الفرشاة العنيفة الحركة. وفي ديسمبر عام ١٨٨٨م اختل عقله، وبعد علاجه استمرت نتائجه حالات عصبية مقطعة حتى كانت آخرها في عام

١٨٩٠م حيث صوب رصاصة إلى رأسه فارق بعدها الحياة. ورغم هذه الحياة الغربية خلف أعمالاً ممتازة، عمل بعضها فغي هولندا، وبعضها في فرنسا. وكانت أعماله الهولندية تتصف بقوة الخطوط الخارجية للأشكال، وكانت ألوانه داكنة بعض الشيء . أما أعماله التي أنتجها في فرنسا فقد كانت على طريقة التأثيريين من حيث الشكل والمضمون معاً. فقد غير من رسم مناظر الريف التي اعتادها في هولندا إلى مواضيع التأثيريين، وأكثر من رسم الزهور وعباد الشمس (تباع الشمس) . وقد مهد بأسلوبه إلى المدرسة التعبيرية. وهناك متحف خاص لأعماله الفنية في أمستردام بهولندا، إضافة إلى عدد كبير من اللوحات الموجودة في كثير من متاحف العالم الشهيرة.

المبحث الرابع:

خصائصها والنظريات التي قامت عليها التأثيرية الجديدة

Neo-Impressionism

نشأت التأثيرية الجديدة معتمدة على كل الاعتماد على نظرية الخلط البصري للألوان. فنظرية اللون عندهم تقول إنه يمكن الحصول على ألوان ثانوية أكثر لمعاناً وحيوية عندما توضع الألوان الأساسية في شكل نقاط متجاورة، فوضع نقاط صغيرة من الأصفر بجوار نقاط أخرى من الأزرق تعطي لونا أخضر أقوى مما يمكن الحصول عليه بخلط اللونين

قبل استعمالهما. ولهذا فقد استخدم أصحاب التأثيرية الجديدة، طريقة وضع نقط الألوان الخالصة غير المخلوطة متجاورة، ويتركونها لتختلط في عين المشاهد. وهذه النقاط تكون صغيرة في أحجامها، وقد تكبر بعض الشيء عند كبر حجم اللوحة. وقد عرفت هذه المدرسة بأسماء ثلاثة وهي :

١. التقسيمية **Divisionism** .

٢. التنقيطية **Pointillism** (١).

٣. التأثيرية الجديدة **Neo-Impressionism**.

وأول من ابتدع هذه الطريقة هو الفنان سورا **Seura** الذي عرض لوحته (المستحمون) **Bathers** عام ١٨٨٤م أي بعد عشرة أعوام من التأثيرية (الأم) ، وبعد عامين أي في عام ١٨٨٦م أقيم المعرض الأول لهذه المدرسة اشترك فيه مكل من سورا **Seura** ، وبيسارو **Pissaro** ، وكانت جميع أعمالهم مبنية على نظريات سورا. وهذه المدرسة - التأثيرية الجديدة- تحقق اللمعان والوضوح وتعطي إمكانات كبيرة للون، وتحقق الإنسجام التام في العمل الفني. وكل ذلك يحدث بما يلي:

١. بطريقة الخلط البصري للألوان النقية التي تشمل كل ألوان المنشور الزجاجي.

٢. يفصل العناصر المختلفة كاللون الموضوعي **Local Colour** ، ولون الضوء وتفاعلها.

(١) كان أصحاب هذه المدرسة يكرهون اسم التنقيطية **Pointillism** ويفضلون أن يسموا بالتقسيميين، فالاسم في نظرهم أقرب إلى وصف طريقتهم الفنية.

٣. بوزن هذه العناصر، ونسبها حسب قوانين التضاد **Contrast**،

والتدرج **gradation**، والإشعاع **Irradiation**.

٤. باختيار حجم النقطة اللونية المناسبة لحجم الصورة.

وقد تأثر بعض الفنانين بنظرية التأثيرية الجديدة (١) وأخذ منها. ولم يكتب لهذه المدرسة الاستمرار طويلاً لأن العمل بها ليس فيه روح الفن والمغامرة، فهو أقرب ما يكون إلى العمل الذهني أو الآلي.

المبحث الخامس: ما بعد التأثيرية **Post-Impressionism**

نشأت هذه المدرسة في أوروبا الغربية في أواخر القرن الماضي ولعل هذه المدرسة (ما بعد التأثيرية) هي أكثر المدارس تشعباً إذ لم تكن هناك روابط كثيرة تجمع بين زعمائها وهم سيزان **Cizanne** وجوجان **Gauguin**، وفان جوخ **Van Gogh** ونشأت هذه المدرسة في الأصل نتيجة ثورة على التأثيرية، وعلى التأثيرية الجديدة أيضاً، وكانت أهم أهدافها:

١. العودة إلى مفهوم محدد وقوي للفن.

٢. التركيز على أهمية الموضوع في الأعمال الفنية.

٤. وأهم أعلام هذه المدرسة بدأوا بالتأثيرية ثم حاولوا شق قنوات جديدة، وطرق جديدة للتعبير.

المبحث السادس: الأثر الذي تركته هذه المدرسة على الفن:

(١) من أشهر الفنانين الذين ظهرت آثار هذه المدرسة في بعض أعمالهم الفنان فان جوخ خاصة في سنواته التي قضاها في باريس و١٨٨٦-١٨٨٨م والفنان جوجان والفنان تولور لوتريك رغم أن كل واحد منهم قد شق طريقاً فريداً.

لا شك أن المدرسة التأثيرية تركت أثراً بالغاً على الفن بوجع عام ولا سيما وأن فنانيها لا زالت أعمالهم حتى يومنا هذا مثار إعجاب كثير من النقاد الجمهور في مختلف أنحاء العالم.

وظهر الفرسان الثلاثة في الفن التشكيلي الأوربي: "جوجان" و "سيزان"، و"فان جوخ" الذين مهدوا لكثير من الحركات الفنية التالية، فهذا جوجان يذهب إلى جزيرة تاهيتي ويرسم نساء شبه عاريات على الشاطئ في وحشية اللون بعد الرقة والنعومة التي كان يرسم بها "رانوار"، فمهد بذلك للمدرسة الوحشية في الفن، وهذا "فان جوخ" الذي اختل عقله وقطع أذنه لحبيبته لمجرد أنها كانت تداعبه، وانفعل بالطبيعة فكانت ضربات فرشاته القوية، وألوانه الصارخة للمدرسة التعبيرية من بعده، وهذا "سيزان" يحاول أن يقيم بنائية تشكيلية للطبيعة، فمهد بهذا للمدرسة التكعيبية في الفن^(١).

ويميل كثير من النقاد إلى أن يعتبروا المدرسة التأثيرية ضمن مدراس التصوير في القرن التاسع عشر، أو على الأقل يعتبرونها حلقة اتصال بين مدراس التصوير في القرن التاسع عشر وبين مدراس التصوير في القرن العشرين.

(١) مدخل إلى التربية الفنية، د. جمال أبو الخير، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) مكتبة الخبتي الثقافية.